موقف زكي نجيب محمود من مسألة القيم الأخلاقية

Zaki Naguib Mahmoud's position on the issue of moral values

د/ ثامر زروقي

المركز الجامعي آفلو الأغواط
thamerdz2012@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/04/09 تاريخ القبول: 2022/04/25 تاريخ النشر:2024/01/29

ملخص:

نحاول من خلال هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على القيم الأخلاقية في فكرنا الفلسفي المعاصر ،وتقديم رؤية المفكر "زكي نجيب محمود" لمسألة القيم الأخلاقية ،حيث تناولها بالتحليل من جهة وجودها وطبيعتها وعلاقتها بالوجود الإنساني، وحاولنا الإجابة عن الأسئلة الآتية :كيف عالج المفكر "زكي نجيب محمود" طبيعة القيم الأخلاقية؟ وماهي المنهجية التي إرتكز عليها؟ وماهي أهمية في بناء الإنسان والحضارة الإنسانية؟.

الكلمات المفتاحية :القيم الأخلاقية ؛ العلم ؛الدين؛ ذاتية ؛ نسبية؛ الإنسان ؛ الحضارة.

Abstract :

Try this paper through ,to grant power light ,on Moral values in Contemporary philosophical thought, to present Zaki Naguib Mahmoud thinker ' vision ' The problem of moral values. Which dealt with Hand analysis Existence and nature, And their relationship to human existence, We have tried to answer the following questions: How to treat a thinker'Zaki Naguib Mahmoud'nature of moral values? What the methodology was based on?And what is important in human civilization. ?

Keywords: Moral values؛ science؛ Religion؛ Subjective ؛ Relativity ؛ Human being Civilization

إن إشكالية الأخلاق من الإشكاليات ذات الارتباط الجوهري بالفكر الفلسفي ببعديه النظري والعملي على حد سواء، والتي لم يعد ينظر إليها باعتبارها مبحثا فرعيا من مباحث الفلسفة وحسب، بل صارت سؤال الفلسفة برمتها. فقد انشغلت الفلسفة بوجه عام بسؤالين أساسين هما: ماذا نستطيع أن نعرف؟ وماذا يجب أن نفعل؟ اهتم السؤال الأول بالمشكلات العلمية وما تثيره من قضايا وما يتصل بالإنسان بالعالم الخارجي، وينتهي باتخاذ موقف فلسفي، يحدد المبادئ والأسس العامة، ويستكمل ما يثيره الموقف العلمي من فجوات، بل ويتجاوز الموقف العلمي في شكل نظرة ميتافيزيقية شاملة. وفي السؤال الثاني يسعى الفكر الإنساني إلى إنشاء مذهب أخلاقي، والانتقال من التأمل الخالص إلى العمل من خلال ما توصل إليه عن الكون والإنسان. وكما أن لكل فلسفة رؤية خاصة محددة ومشروعة ،فإن للمذاهب الأخلاقية مراحلها التي تعكس الاتجاه العام للعقل الإنساني. وإذا كانت الفلسفة بوجه عام قد عرفت ثلاثة وجهات نظر كبرى وهي: وجهة نظر مثالية ذاتية والمثالية الموضوعية ووجهة نظر الطبيعية الواقعية التي تعترف بالوجود الحقيقي للظواهر، فإن الأخلاق ،قد عرفت بدورها ثلاث اتجاهات في حل المشكلات الأخلاقية:

أولا-الاتجاه المتعالي :سواء كان علمانيا أو دينيا يرى أن الأخلاق ليست بحاجة لمن يخترعها ،لأنها سابقة لوجودها وعلى الفكر أن يكتشفها فحسب، وهي مجموعة قواعد تعتمد على مبادئ عامة مستقلة عن عقل الشخص الفكر أوهي من صنع الإله .

ثانيا-إتجاه طبيعي:يربط الأخلاق بالعلم اعتمادا على العلاقة بين تطور العقل وتطور الأخلاق منذ نادى بها (سقراط) قديما حتى مفكري القرن التاسع عشر عند (هيغو) وغيرهم،حيث اتخذت شعارا:" فتح مدرسة معناه إغلاق سجن"، تعدد المحاولات في إنشاء نظرية أخلاقية علمية منها ما يعتمد على العلوم الميتافيزيقية (هوبز) أو إنسانية تعتمد على علم النفس عند (هيوم،وجون ستيوارت مل) أو علم الأحياء عند (سبينسر) ،ثم جاءت الماركسية لتجمع بين هذه المواقف الثلاثة وتضيف المدرسة الإجتماعية (أوغست كونت،و دوركايم) .

ثالثا- الإتجاه الثالث: يركز على فاعلية الأخلاق وعلاقتها بالعوامل النفسية والعاطفية أي الربط بين الشعور الإنساني والضمير الأخلاقي ،أي ربط الضمير الأخلاقي بعلم النفس دون أن ينظر إلى هذا العلم كقاعدة كما ذهب الاتجاه الطبيعي ولكن كدليل وقد أصبح الشعور الأخلاقي باطنيا بعد أن كان خاضعا لنظام علوي متعالي.

وفي هذا البحث نرصد بعض المحاولات الجادة في فكرنا العربي المعاصر، التي سعت لتأسيس مذاهب أخلاقية، ومن أبرز هؤلاء المفكرين " زكي نجيب محمود"، لهذا تعد دراسة القيم عامة، والقيم الأخلاقية خاصة، جانب مهم من جوانب فكره، فيا ترى ما هو موقف زكي نجيب محمود من مسألة القيم الأخلاقية؟ كيف عالج مفكرنا "محمود" طبيعة القيم الأخلاقية؟ وماهي المنهجية التي ارتكز عليها؟ وماهي أهمية في بناء الإنسان والحضارة الإنسانية؟.

أولا/ تعريف الأخلاق:

أ/الدلالة اللغوية: ومن حيث المعنى اللغوي تعود كلمة أخلاق (Morale) وأخلاق نظرية (Ethique) ،ذلك أن الاشتقاق اللغوي لـ« (Ethique) ترجع للكلمة اليونانية (Laethe) التي تعني العادات الأخلاقية، بينما تعود كلمة أخلاق (Morale) إلى الكلمة اللاتينية (Mores) التي تعني الأعراف عبارة عن جملة الأوامر والنواهي المقررة عند مجتمع مخصوص في فترة مخصوصة» (1)، والكلمتان، وإن كانتا تتسمان بدلالات متقاربة وتحيلان إلى مضامين متشابهة كفكرة العادات الأخلاقية وسبل العمل التي يحددها الاستعمال، ومع ذلك فهناك تمايز بينهما، حيث« تتسم الإتيقا (Ethique) بالسمة النظرية، وتتجه نحو التفكير في أسس الأخلاق، أي أنها تبحث في قواعد السلوك من حيث تصورات عامة حول الخير والشر، فهي عبارة "عن العلم الذي ينظر في أحكام القيمة التي تتعلق بالأفعال، إما تحسينا أو تقبيحا » (2). وفي اللغة العربية كلمة أخلاق تطلق ويراد بها: الطبع والسجية، والمروءة والدين. وحول هذه المعاني يقول "الفيروز أبادى":«الخُلْقُ بالضم وضمتين السجية والطبع والمروءة والدين » (3) ويقول "إبن منظور":«الخُلُقُ والخُلْقُ السجية، فهو بضم الخاء وسكونها الدين والطبع والسجية» (4) ويورد "ابن منظور" معنى يحدد به ماهية "الخُلق" فيقول:« إن الخُلُقْ هو صورة الإنسان الباطنة، أو مكونه النفسي الداخلي، بعبارة أخرى

"الخلق"للنفس كالخِلْقة" للجسد"، والملاحظ أن "الخلق" بهذا المعنى غير "السلوك"، فهو:« "ملكة" أو "هيئة في النفس "تصدر عنها الأفعال: فهي منبع السلوك، أما السلوك فهو الممارسة الفعلية الصادرة عن المفهوم أو الصفة .»(5). وجاءت كلمة الخُلُق في القرآن الكريم في موضعين: قوله تعالى: (**إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ**) (6)، بمعنى إن هذا الذي جئتنا به لإعادة الأولين، وخُلُق الأولين هنا بمعنى دِينهم وعادتهم وأخلاقهم ومذهبهم ودِينهم وعادتهم وأخلاقهم ومذهبهم. وفي قوله تعالى: (**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**) (7)، قال الطبري : "يقول-تعالى ذِكْره-لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم: وإنك يا محمد، لعلى أدب عظيم. وقد تكررت الأحاديث النبوية في مدح حسن الخلق، حيث يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (***إِنَّما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأخلاقِ***) (8). وقوله أيضا: (**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**) (9) ويطلق لفظ الأخلاق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أو مذمومة.

ب/ الدلالة الاصطلاحية: عرف العلماء الأخلاق من الناحية الاصطلاحية بتعريفات كثيرة لا يتسع المجال لذكرها كلها، ولكن سنذكر أهم تلك التعريفات ومنها : تعريف "ابن مسكويه" حيث قال: « بأنها حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية . وهذه الحال تنقسم الى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركة أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجن من أيسر شيء كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعة، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكاً مفرطاً من أي شيء يعجبه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله. ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه الفكر، ثم يستمر عليه أولاً، فأولاً حتى يصير ملكة وخلقاً » (10)،وعرفها "أبو حامد الغزالي" بأنها:« هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بيسر وسهولة من غير حاجة الى فكر وروية » (11). ويمكن تعريفها بثلاثة تعريفات:1/مجموع قواعد السلوك مأخوذة من حيث هي غير مشروطة.2/السلوك المطابق للأخلاق(حين نتحدث عن تقدم الأخلاق).

3/نظرية عقلية في الخير و الشر،(لها نتائج معيارية).(12)

وهناك رأي يؤكد على أن القيم الأخلاقية تنبع من الضمير الأخلاقي، فهو محور الشخصية الإنسانية، وهدف كل علم للأخلاق: هو تقويم الشخصية بواسطة القيم الأخلاقية. وهناك من عرفها بأنها« مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني »(13)، وعرفها "كانت"« بأنها سبب لمعرفتنا بالحرية، إلا أن الحرية هي سبب و جود الأخلاق» (14).

ثانيا/إشكالية الأخلاق وعلاقتها بالعلم عند "زكي نجيب محمود":

الأخلاق عند مفكرنا "زكي نجيب محمود" مقدمة أساسية وركيزة أولية من ركائز الثقافة العربية والإسلامية ،ومن ثم المصرية و تعد مقوما من مقومات بنية العقل المسلم ، لهذا قال مفكرنا "أن الأخلاق طابع مميز للثقافة العربية والإسلامية التي أقامت بناءها على ركيزة أساسية هي :المبادئ التي ينبغي أن تحكم طرق التعامل بين الناس، وتلك هي مبادئ الأخلاق"(15).يقول "زكي نجيب محمود" أن:«العبارة الأخلاقية-وكذلك الجمالية-هي جملة تعبيرية ، لا تزيد على كونها تعبيرا عما في نفس القائل من شعور ذاتي خاص به ، وعندئذ يستحيل أن يقف السامع موقف المصدق أو المكذب لما يقوله، لأنه لا سبيل إلى مراجعته فيما يقول، وكيف يراجعه وهو لم يقل عن العالم المشترك بينهما شيئا، وإنما نطق بشيء أشبه بالصراخ - مثلا- أو بقهقهة ضحك » (16)، كما يرى أن العبارات الأخلاقية التي تحتوي على كلمة "يجب" إنما تعبر عما يشعر به صاحبها في داخلة، لذلك فهي:« لا تصلح أن تكون قضايا، لأنها لا تصلح أن توصف بالصدق أو الكذب، إذ هي لا تصور شيئا واقعا، حتي نتمكن من المطابقة بين التصوير والواقع المصور » (17). وجدير بالذكر أنه هنا يناقض نفسه فيما ذهب إليه في "الجبر الذاتي" من حيث أن الجهد الأخلاقي"« لا يبذل لأنه مفيد أو نافع، لكنه يبذل لأن سلطة الواجب تتطلبه » (18)، سواء السبب الذي يجعل

العبارات الأخلاقية عبارات لا تصلح للحكم عليها بالصدق أو الكذب ، فهو يعود -حسب رأيه - إلى قضية التمييز بين العبارات التركيبية والتحليلية ، وإلى تطبيق مبدأ التحقق عليها. فالقضايا ذات المعني والمدلول– كما رأينا– إما تركيبية وإما تحليلية ، ومعيار ومقياس التحقق بالنسبة إلى القضايا التركيبية هو مطابقتها الأشياء التي تقابلها في العالم الخارجي الحسي، في حين أنه بالنسبة إلى القضايا التحليلية هو اتساقها وانسجامها، وعدم

تناقض مقدماتها مع نتائجها ،وهو يلاحظ أن عبارات الأخلاقية إذا ما كانت تركيبية، فهي حينئذ لن تتمتع باليقين المطلق، وإن كانت تحليلية فهي تخبرنا بشئ عن عالم السلوك، وفي هذا يقول "زكي نجيب محمود":« وفي كلتا الحالتين لا يكون لمبادئ الأخلاق ما أراد لها الفلاسفة من صدق يقيني مطلق يفرض نفسه على كافة أفراد البشرية في كل مكان وفي كل زمان »(19)، بعد أن يخطو فيلسوفنا "زكي نجيب محمود" هذه الخطوة التي استهدفت زعزعة الثقة بالمذاهب الأخلاقية العرقية والأصلية التي شيدت وبنيت على مر العصور، منذ عهد الفيلسوف اليوناني "سقراط"، ومرورا بالمرحلة المدرسية، ووصولا إلى الفيلسوف "سبينوزا" و"كانط" وغيرهم من الفلاسفة الأخلاقيين، بعد أن يخطو هذه الخطوة يستعد ليخطو الخطوة الثانية التي تستهدف إبعاد الأخلاق عن دائرة العلم، ويعتقد في ذلك أن المبادئ الأخلاقية ليست من قبيل القضايا التركيبية، وليست من قبيل القضايا التحليلية، لأنها مصوغة على شكل أوامر أخلاقية، إلا أن القضايا المعرفية بنوعيها لا يمكن أن تصاغ هذا الشكل . ويعتقد في الوقت ذاته« إن العبارات الأخلاقية، لاتصف شيئا ولا تقرر شيئا، وإنما هي تعبير عن انفعال المتكلم» (20)، وهو بذلك لا يوافق على ما ذهب إليه بعض الفلاسفة من تأكيد ضرورة الموازاة بين الأخلاق والمعرفة ،مثل سبينوزا الذي أكد وجوب اعتبار الأخلاق كعلم، « ليس فقط لأن مبادئها الأولي تبدو "صحيحة"، بل أيضا لأنها خاضعة لمبادئ الاستدلال المنطقي »(21)، وكانط الذي اكتشف أن السؤال عن طبيعة الأخلاق يرجع ويعود إلى السؤال عن طبيعة البديهيات الأخلاقية. ولهذا حاول أن يقيم تلك البديهيات على أسس وقواعد ثابتة ومستقرة، وتوصل إلى رأي بشأنها فحواه أنها قضايا تركيبية قلبية، ووصلت لديه-نتيجة ذلك- « الموازاة بين المجالين الأخلاقي والمعرفي إلى قمتها »(22) ،وذلك باعتبار أن بديهيات المجالين ترتكز على معرفة تركيبية قلبية.

لقد رد فيلسوفنا "زكي نجيب محمود" على هذا الرأي إذ وضح الإصرار على ضرورة الموازاة بين الأخلاق والعلم ،يؤدي لامحالة إلى زوال وقتل الأخلاق نفسها ، لأننا في أية محاولة للموازاة أو للمطابقة بينهما، سنكتفي في مجال الأخلاق« بالعبارات الوصفية ونخرج منها جانب الأمر، أي أننا سنكتفي بأن نصف الطرائف التي يسلك بها هذا المجتمع أو ذاك في ظروف حياته المختلفة، دون أن نصف هذه الطرائف بقيمة معينة »(23)،

وبذلك يكون قد قضي على الأخلاق بالمعني الذي يريده لها أولئك الفلاسفة الذين أصروا على ضرورة الموازاة بين مجال الأخلاق ومجال العلم .لكنه وعلى الرغم من تشدده بعض الشيء مع الفلاسفة الأخلاقية، يقبل بالأخلاق حينما تكون تعبيرا عن ميول الناس عامة، لا عن ميول شخص من الأشخاص، ويبين أننا في الحالة الأولي يمكن أن نرجع إلى ما«نلاحظ في ميول الناس »(24)،

أما في الحالة الثانية فلا يمكن أن نرجع إلى أي شيء ،لأن الشخص المعني إنما يعبر عن ميله الشخصي لا أكثر. في هذا النقطة بالذات يبتعد مفكرنا العربي عن الوضعية المنطقية ،ليقرب من الذرائعية أو النفعية التي تذهب إلى الرأي نفسه في الأخلاق على لسان" وليم جيمس" الذي يقول:« إن الآراء الذرائعية حق وإن القانون المعياري الحق هو ما يعتقده الرأي العام ومن الحماقة لكثير منا أن يحاولوا التجديد في الأخلاق »(25) فـ"زكي نجيب محمود" بقبوله فكرة الميول العامة للناس في الأخلاق، يتخلى عن مبدأ التحقيق الذي يعد المبدأ الجوهري من مبادئ الوضعية المنطقية ، فهو حين يقرر أن الميول العامة للناس يمكن القبول بها، إنما يقرر- وبشكل غير مباشر - إمكانية القبول بالميول الخاصة أيضا على الرغم من رفضه لها ،لأن ما نلاحظه في ميول الناس عامة يعتمد على ما يعبرون به عن ميولهم، كل بمفرده، وهذه حسب ما يراه مفكرنا "زكي نجيب محمود" فارغ من المعني أو المدلول .

ومن هذا المنطق يمكن لنا أن نتساءل، كيف يمكن أن نكتسب مسألة ما المعني في الوقت الذي يتوقف فيه تحقيقها ويعتمد على عبارات فارغة من المعني ؟ وما يمكن استخلاصه من رأيه السابق، هو وضع بعض القواعد الأخلاقية مثل هذا الاتفاق الوصول إلى شيء بشأن العبارات الأخلاقية، فمثلا لا يمكن أن نستنتج عبارة "واجب" أن يكون للنساء حق الانتخاب من أي عدد من المقدمات الخالية من كلمة "واجب "، كما مثلا أن أستنتج هذه النتيجة من مقدمة مثل: "كل النساء دافعات للضرائب ،لأن هذه الحقيقة ذاتها لا تنتج أن يكون لهن حق الانتخاب، بعبارة أقصر،«لا يمكن في محال الأخلاق أن نتفق على نتيجة معينة، إلا إذا سبق لنا الاتفاق عليها هي نفسها كمقدمة لا تحتاج إلى برهان » (26).وينبغي أن تكون مثل هذه المقدمة القضايا يتفق عليها الناس، وإلا جاءت

تعبيرا عن ميول فردية شخصية لا يقبل بها "زكي نجيب محمود" الذي يدمج ويمزج هنا بين معنيين للأخلاق هما :

أ/ - المعني الوصفي: وتأخذ به الوضعية المنطقية .

ب/- المعني النفعي: وتأخذ به الذرائعية "البراجمائية " .

وقد ميز "فيكتور كرافت" بين هذين المعنيين، حينما أكد« أن الجمل الوصفية وحدها تمتلك المعني، أما الجمل الأخرى التي تتضمن الأسئلة والأوامر والمعايير والتقويمات فهي بلا معني، لأنها لا تشير إلى أي شيء يمكن أن نتحقق منه، ولا تتضمن أي محتوى نظري ويبين "كرافت" أيضا، أنه يمكن أن تكتسب مثل هذه الجمل المعني إذا ما عرفنا المعني على أساس ذرائعي، فهي حينئذ ستشير إلى مواقف معينة، وإلى أركان محددة للسلوك، تهم الذرائعيين . » (27)

ويتجلى ابتعاد مفكرنا "زكي نجيب محمود" عن الفلسفة الأنجلو سكسونية والوضعية المنطقية خاصة، في مجال الأخلاق بوضوح في كتبه الأخيرة ،إذ يعتبر فيها الأخلاق السماوية ميزة وسمه من سمات الشخصية العربية ينبغي أخذها بعين الاعتبار في محاولة التوافيق بين التراث العربي الإسلامي والثقافة المعاصرة، لأننا حسب وجهة نظره أو تصوره، إذا ما تخلينا عن تلك القيم الخلقية الخالدة التي ورثناها ،سنتعرض للخطر وزوال وانهيار الشخصية وانحلالها.

ويعتقد فيلسوفنا "زكي نجيب محمود "أن:« القيم بناء على إطارنا الثقافي الأصيل هي كسائر الحقائق الروحية ليست من صنعنا، إنما هي هناك، نشخص إليها ببصائرنا، كما نشخص بأبصارنا على الشمس والقمر، وعلينا أن نهتدي بهديها » (28)،لكنه مع ذلك يعتبر أن هذه النظرة والرؤية للأخلاق لا تساير الرؤية التي ينظر بها للعصر من خلال فلسفاته العديدة، لذلك يسعي ويأمل في سبيل التوفيق بين الرؤيتين ،فيلجأ إلى التمييز بين مستويين من القيم هما:

1/- المستوى السماوي : وتكون القيم فيه مطلقة بالنسبة إلى الله (جل شأنه).

2/- المستوى الأرضي : وتكون فيه القيم نسبية محدودة بالنسبة إلى الإنسان.

وهو في الحالتين يقبل بالأخلاق التي لا يمكن أن نتحقق من جملها، ولا يمكن أن نقربها بأي معني من المعاني، إذا كنا ملتزمين بمبادئ الوضعية المنطقية –على الرغم من بعض الخلافات بينهم في شأن الأخلاق– لكنهم يتفقون على رفض" أي محاولة الإنشاء عالم للقيم فوق عالم التجربة"، لأن القيم ومن ضمنها القيم الخلقية لا تحقق الشروط الواجب توافرها في عبارة ما، حتي تمتلك المعني ،ولما كانت الأخلاق كذلك، كان الواجب يقتضي إخراجها من دائرة الفلسفة، في الوقت الذي كان ينبغي فيه إخراج علم النفس من الدائرة ذاتها ولكن لسبب آخر. فالأخلاق تخرج منها، لأن جملها لاتصل إلى المستوى الذي تصبح فيه قضايا ذات معني، أما علم النفس فغن مسائلة هي مسائل علمية ، لذلك كان لابد من وضعه في دائرة العلوم التجريبية مع باقي العلوم التي حققت نسبة لابأس بها من الدقة والموضوعية والمعقولية .في هذا المجال الذي خصص بموقف "زكي نجيب محمود" من القيمة الأخلاقية اتضح لنا اعتماد مفكرنا على أهمية الأحكام التحليلية والأحكام التركيبية، وإتضح أن الحكم الأخلاقي هو حكم شعوري ذاتي خاص بالموقف الذي يحياه الفرد، ولا يمكن إخضاعه لمعايير المنطق من صدق وكذب وغير ذلك ،ولذا صار موقف مفكرنا "زكي نجيب محمود" موقفا منسجما مع ما ذهبت إليه الوضعية المنطقية.

ثالثا/مصدر القيم الخلقية وطبيعتها عند زكي نجيب محمود:

يرى "زكي نجيب محمود" أن القيم الأخلاقية هي أحد القواعد أو الأسس الهامة التي تبنى عليها الحضارة الإنسانية، فقد كانت القيم الأخلاقية في مرحلة تبنيه الوضعية المنطقية مرتبطة بالمنفعة، تكون قيما خيرة بقدر ما تقدم من فائدة إلى جانب كونها تحمل طابعا علميا، مصدرها طبيعة الناس، وموصولة بالواقع، وهي تبحث في سلوك الإنسان كما هو موجود ،ولا تبحث فيما يجب أو ينبغي أن يكون عليه الفعل الإنساني. إلا أنه في مرحلته الأخيرة عدل عن هذا الموقف ورأى أن القيم الأخلاقية مصدرها الدين الإسلامي والسماء عند العرب، وهو ما يؤكده في قوله:« إن الإسلام مجموعة من القيم التي لا أحسب عاقلا على وجه الأرض يرفض شيئا منها، من حيث هي مثل عليا » (29).

فالقيم لم تنبت في الأرض والواقع، كما أنها تمتاز بالثبات، فهي مبادئ سامية لا تبحث عن النفع بقدر ما تبحث عن الواجب. وتعد طبيعة القيم الأخلاقية عند "زكي نجيب محمود" طبيعة مزدوجة، حيث يؤكد أننا «رغم تطورنا إلا أننا مازلنا متمسكين بأخلاقيات المجتمع الزراعي جنبا إلى جنب مع ما تدعوا إليه الحياة الجديدة، بعلمها وصناعتها من أخلاقيات جديدة، وأول ما يلفت نظرنا ونحن على مشارف مرحلة الانطلاق ازدواج القيم، فنحن مشدودون اليوم بين قديم وجديد نعمل بأجسادنا على نحو ونفكر بعقولنا ونحس بقلوبنا على نحو آخر، كمن يعزف على قيثارة لحنا لكنه يغني لحنا آخر» (30).

رابعا/العلاقة بين القيم الأخلاقية والدين والعلم عند زكي نجيب محمود:

إن الحياة السوية للناس لا تستقيم إلا بتوفر شرطين هما: القيم الأخلاقية والعلم، فالمصدر الرئيسي للقيم الأخلاقية هو الدين، والمصدر الرئيسي للمعرفة العلمية هو التجربة الحسية والواقع. والحياة السوية شرطها أن يتوازن هذان المصدران. حيث يقول: يبدوا واضحا أنه لابد لنا من الجمع بين مبادئ الأخلاق كما وردت في العقيدة الدينية ،وقوانين العلم الحديث بما تتضمنه من منهج جديد، وليس هذا الجمع مستحيلا.» (31) فهذا الجمع بين القيم الأخلاقية والعلم « قد يفتح أمامنا أفاقا مغلقة، فهي ثنائية تضع الإنسان على قدميه فوق الأرض، وترفع رأسه إلى السماء، أي تتيح له أن يعيش لهما معا، فعلى الأرض يسعى علما وعملا وفي السماء يهتدي بالمثل التي ترسم أمامه لتكون له على الطريق أهدافا وغايات (32)»،فالجمع بين العلم والدين هو الطريق والمسار الصحيح، لذلك يرى أن يتوجب على كل مسلم، أن يستنبط ويستلهم من دينه الأسلوب الأمثل لكيفية تسخير العلم لخدمة الإنسانية جمعاء لا إلى هلاكها ودمارها. فلكي يتسنى لنا التقدم ومسايرة روح التطورات الحاصلة في العالم، لا بدلنا أن نتمتع ببعد نظر يكفل لنا بلوغ الغايات المنشودة، فنأخذ من الغرب الوسائل والأدوات ونضع نحن الأهداف، كما نأخذ من الغرب المادة ونضع من عندنا الروح، كما نتجاوز اهتمامات الغرب بالجانب الدنيوي إلى الانشغال بالحياة الباقية وهي الآخرة.

خامسا/دور القيم الأخلاقية في ترقية الإنسان والمجتمع وبناء الحضارة:

يرى "زكي نجيب محمود" أن الإنسان لا يكون كاملا وتاما بالعلوم وحدها، بل لابد من إضافة القيم والقيم الأخلاقية والجمالية بالذات لتكتمل الصورة ، حيث يقول :«فالقيم الخلقية والجمالية تجعل من الإنسان إنسانا بالعمق، بعد أن جعل منه العلم والمال والقوة إنسانا بالطول والعرض» (33)، وتلعب القيم الخلقية دورا كبيرا في صنع أي حضارة، لذلك يرى" زكي نجيب محمود" بأن سبب عدم اكتمال الحضارة الغربية ،رغم أنها حضارة علم ،هو فقدانها للجانب الأخلاقي، ويصفها بأنها حضارة عرجاء، فإذا أضيف إليها البعد الأخلاقي، الذي يتمثل عندنا في الدين، صارت تامة تسير على قدمين. كما يبين لنا بأن كلمة ضمير تطلق على «ما استخلصناه لأنفسنا مما وعيناه وعشناه، ولقد استخلصناه من خبرتنا المباشرة، أو مما علمنا إياه آباؤنا ومعلمونا فأضمرناه في نفوسنا لنحمل معناه أينما توجهنا.(34)» كما يوضح لنا "زكي نجيب محمود" أسباب أي خلل يصيب أي أمة أو أي مجتمع ،بأنه يعود إلى فقدان هذا المجتمع أو هذه الأمة لأواصر المحبة والترابط والتعاون والتراحم بين أفرادها، وهذا يعود في أساسه إلى فقدان القيم الأخلاقية، ويرى أن فساد أي شخص ،وفساد أي مجتمع، يرجع إلى وجود خلل في تكوينه الأخلاقي، وكان ضعف هذا المجتمع يعود إلى ضعف الأساس الديني الذي بني عليه. ومنه فإن فقدان الأخلاق من أهم أسباب فساد أي مجتمع، ويؤكد لنا" زكي نجيب محمود" أن علاج هذا الخلل الذي أصاب المجتمع مما أدى إلى ضعفه، له صلة بالإنسان، وأن المعرفة والأخلاق أول درجات صلاح أي مجتمع.

ومما لاشك أن "الأخلاق والعلم" لو تحقق وجودهما مجتمعين في بنية أي مجتمع ، لتسنى له الرقي والتطور وتمكن من بناء حضارته .

خاتمة:

نستنتج مما تقدم أن من أهم القضايا التي شغلت المفكرين، في كل زمان ومكان، المسائل المتعلقة بالأخلاق. فالحياة الإنسانية حياة خلقية بالضرورة، تدخل في نسيجها القيم والأحكام والاختيارات والمفاضلات. إن القيم التي تبحث في الحق والخير والجمال هي

قيم أخلاقية بالدرجة الاولى ، وهذه القيم عند مفكرنا "زكي نجيب محمود"، هي القيم الكبرى الثلاث الضابطة لحياة الإنسان الفكرية والعلمية على السواء. فهو يقول:« إني أستخدم كلمة الأخلاق هنا بمعناها الواسع، الذي يشير الى طرائق السلوك في ميادين التعامل البشري بصفة عامة، كما يشير الى طرائق العيش كما يريدها الناس(35) » . واعتبر فيلسوفنا ألفاظ القيم مثل الخير وقيمة الجمال نوعا من العبارات الميتافيزيقية لا تدركهما الحواس فارغتان من المعنى.

ولما كانت العبارات الأخلاقية والتقويمية، مجرد تعبير عن مشاعر الإنسان وانفعالاته . ولما كانت هذه الأخيرة مختلفة باختلاف الاشخاص والمجتمعات، كانت القيم تبعا لها مختلفة ومتغيرة بتغير الأهواء والاعتقادات ،وهذا يعني عند مفكرنا "زكي نجيب محمود" إن القيم فقدت الإطلاق والصلاحية لكل زمان ،وأصبحت نسبية، ومع ذلك، فلا توجد أي ثقافة بشرية على مر العصور، خلت من جانب القيم الأخلاقية والجمالية ،ولكن حظ كل ثقافة في هذه الناحية كما وكيفا، يتوقف على المرحلة التاريخية التي تمر بها. في هذا يقول مفكرنا: « إذا كانت دعواي دائما هي أن القيم نسبية تتغير بتغير الثقافات ». (36)

وبناء عليه فقد جعل مفكرنا القيم الاخلاقية والجمالية صيده الثاني ، الذي يسدد نجوه سهام المنطق الوضعي، بعد الميتافيزيقا وأخضعه لمبعضه التحليلي الفلسفي. فمفكرنا يثبت أن القيم الأخلاقية قضايا ذاتية، ومجرد لغو وأشباه مفاهيم ومنهجها أن يخلع الإنسان ما بنفسه على الأشياء الخارجية ليطمئن الناس على أخلاقهم، فيقول:« لكننا نريد أن نطمئن الناس على قيمهم، التي يعتزون بها، فلسنا نلغيه، وإنما نضعها في موضعها الصحيح وهو أنها تقديرات ذاتية لاوجود لها في عالم الطبيعة، ولا تناقض أن يكون التقدير ذاتيا، ونعتز به ونذود عنه (37) . » فلقد رفض مفكرنا "زكي نجيب محمود" العبارات الأخلاقية ، وتم تطبيق مقياس التحقق عليها، حيث وجدها لا تصلح -في نظره- أن توصف بالصدق أو الكذب، إذ هي لا تصور شيئا واقعا، حتى نتمكن من المطابقة بين التصوير والواقع المصور.

فقد آمن مفكرنا "زكي نجيب محمود " بنسبية القيم الخلقية والجمالية ، وحكم على عباراتها باللغو الذي لامعنى له، لكن من الملاحظ في هذه المرحلة تأثر مفكرنا بموقف

الفلسفة البراغماتية من القيم الخلقية، فقد علل نفي المعنى عن الجملة الخلقية والجمالية بـ " أنها لا تشير إلى عمل يمكن أداؤه للتحقق من صدق معناها المزعوم، ولا تكون الجملة ذات معنى إلا إذا أمكن تحويلها إلى عمل، فكل جملة لا تدلل بذاتها على ما يمكن عمله ،بحيث يكون هذا العمل هو معناه الذي لامعنى لها سواء، تكون صوتا فارغا مهما قالت لنا القواميس عن معانيها.."[38] ففي هذه المرحلة يربط مفكرنا "زكي نجيب محمود" بين القيمة والفكرة الخلقية وما يترتب عليها من منافع عملية، فالقوانين الخلقية- في نظره-إنما هي مجرد قوانين" كغيرها من القوانين، هي وليدة الحياة الواقعة، فما قد ثبت نفعه جعلناه قانونا خلقيا ينظم سلوكنا وما قد تبين على مر التاريخ أنه ضار، حذفناه من قائمة الأعمال المقبولة ،ولما كان النفع والضرر يتغيران بتغير الظروف، وجب علينا أن ننظر إلى مبادئ الأخلاق على أنها نسبية وليست مطلقة، ويجب أن نكون على استعداد، لأن نغير منها، ما لابد من تغييره، لئلا يقف هذا عقبة في سبيل التقدم مع ما يقتضيه الزمن والحضارة"[39].

وفي الأخير يمكن القول بأن فيلسوفنا "زكي نجيب محمود "يرى أن الدين يحمل مجموعة من القيم الأخلاقية والجمالية باستطاعة المفسرين استخراجها وتدبرها وتفسيرها ،قد يكون ملائمة لواقعنا . وأن للقيم الأخلاقية مصدرها السماوي ومجالها الإنساني وصبغتها التاريخية والاجتماعية، ويؤكد أيضا على أهمية القيم الأخلاقية في بناء أي حضارة ، وأن هذه الأخيرة لا تصير تامة وكاملة، إلا إذا أضيف لها البعد الأخلاقي المتمثل عندنا في الدين.

هوامش البحث:

1-عطية أحمد عبد الحليم "**الفكر الأخلاقي الجديد ودراسات أخرى**"، دار الثقافة العربية ،القاهرة، مصر ، دط،2007 ، ص.174

2- عبد الرحمن طه "**سؤال الأخلاق**"، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء، المغرب ، ط1، سنة2000 ، ص7- 8.

3- أبادي الفيروز:**القاموس المحيط** ، فصل الخاء : باب القاف ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ،لبنان ،ط8 ،2005 ،ص 236.

4 - إبن منظور: **لسان العرب مج2**،مادة : خلق ، دار صادر،بيروت،لبنان،ط3، سنة1992،ص ص 1244-1245 .

5- المرجع نفسه، ص ص1244-1245 .

6-قرآن كريم ،**سورة الشعراء** الآية رقم 137.

7--قرآن كريم ،**سورة القلم** الآية رقم 4.

8-حديث نبوي شريف رواه البخاري في " الأدب المفرد " رقم (273)

9- حديث نبوي شريف أخرجه الترمذي، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، برقم (1162)، وأحمد في المسند، برقم (7402) وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (1232).

10- ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تقديم حسن تميم ،دار مكتبة الحياه للطباعة والنشر ، بيروت،لبنان،ط2 ، دت. ص 41

11- زيدان ،عبدالكريم : أصول الدعوة ، دار العرفان ، القاهرة، مصر ، ط 3 ، 1408هـ . ص 79

12- سناء خضر، الفلسفة الخلقية والعلم نظرة نقدية، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر الأسكندرية، مصر ،ط1 ،2009، ص47

13- ياجين المقداد، التربية الأخلاقية في الإسلام ،دار عالم الكتب،الرياض،السعوية،ط2 ،1996 ،ص.75

14- محمود زكي نجيب: **قيم من التراث** ،دار الشروق، القاهرة (مصر)،وبيروت ، (لبنان)،دط، 2000م ،ص10.

15-الوئلي عامر عبد زيد و أخرون: **النظرية الأخلاقية من سؤال التأسيس إلى اختراق الممارسة السياسية** ، دار الروافد الثقافية بيروت لبنان، ط1 ،2015،ص.14

16- محمود زكي نجيب ، **أسطورة الميتتافيزيقا** ، مجلة الكتاب ، مجلد 11، ج3 ، أذار1952م ، ص304 .

17- محمود زكي نجيب ، **المنطق الوضعي** ، ج 1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، مصر، ط 4، 1965م ، ص .11

18- محمود زكي نجيب، **الجبر الذاتي** ، تر/ إمام عبد الفتاح إمام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (مصر)دط، سنة 1973، ص 230

19 - محمود زكي نجيب ، **نحو فلسفة علمية** ، (مصدر سابق) ، ص 361.

20 - محمود زكي نجيب ، الجبر الذاتي ، (مصدر سابق) ، ص : 127

21-ريشنباخ هانز، نشأة الفلسفة العلمية ، تر فؤاد زكريا، دار الكتاب العربي ،القاهرة، مصر ،دط 1968، ص : 60.

22- المرجع نفسه ، ص : 62.

23 - محمود زكي نجيب، نحو فلسفة علمية، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة،(مصر) ط1980،2 م، ص: 361 -362.

24- محمود زكي نجيب ، موقف من الميتافيزيقا، دار الشروق، القاهرة (مصر)،وبيروت ، (لبنان)،ط3، 1987م، ص : .118

25-**JAMES ,W,Essy In Pragmatism ,Edite whth an introduction,by A castell,hatiner**1945, **p82**

26- محمود ،زكي نجيب ، **موقف من الميتافيزيقا**، (مصدر السابق) ، ص : 121- .122

27-KARAFT,V.the **Vienna-Philosophical Circle**- Library,New york,.1953,p183

28- محمود، زكي نجيب، **ثقافتنا في مواجهة العصر**، دارالشروق، القاهرة، (مصر) ، ط3 ،1982م، ص : 34.

29- محمود ،زكي نجيب ،**تجديد الفكر العربي** ، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط5، 1987،ص68.

30- محمود ،زكي نجيب ،**أزمة القيم في عصر الانطلاق، مجلة الفكر المعاصر** ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة مصر،العدد7،سيبتمبر،سنة 1965،ص6.

31 – محمود ،زكي نجيب ،**روح العصر في فلسفته، مجلة الفكر المعاصر** ،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة مصر، العدد1،مارس،سنة 1965،ص16

32-محمود ،زكي نجيب ،**موقف من الميتافيزيقا**،(مصدر سابق)،ص120.

33- محمود ،زكي نجيب ،**أفكار ومواقف** ،**دار الشروق**، القاهرة مصر،ط3،سنة 1983، ص ص201-202

34- محمود ،زكي نجيب ،**هموم المثقفين** دار الشروق القاهرة (مصر)،بيروت ،(لبنان) ، ط2 ،سنة 1981،ص .15

35- محمود ،زكي نجيب ،**تجديد الفكر العربي** ،(مصدر سابق) ،ص.285

36-محمود ،زكي نجيب ، **موقف من الميتافيزيقا** ،(مصدر سابق) ،ص132.

37- المصدر نفسه ،ص 122

38 - أبوزيد، منى "**التفكير الديني عند زكي نجيب محمود**"، دار الهداية،القاهرة،مصر،ط1، 1993،ص ص 220-221

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

-الحديث النبوي الشريف.

أولا/ المصادر:

1-محمود زكي نجيب ، **المنطق الوضعي** ، ج 1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، مصر، ط 4، 1965م .

2-محمود زكي نجيب ، **المنطق الوضعي** ، ج 1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، مصر، ط 4، 1965م .

3-محمود،زكي نجيب ،**الجبر الذاتي** ،تر: إمام عبد الفتاح إمام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، (مصر) دط، سنة 1973.

4- محمود زكي نجيب ،**أفكار ومواقف**، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1،سنة 1978م.

5-محمود زكي نجيب، نحو فلسفة علمية، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة،(مصر) ط2، 1980م.

6-محمود زكي نجيب ،**هموم المثقفين** دار الشروق القاهرة (مصر)،بيروت ،(لبنان) ، ط2 ،سنة 1981

7- محمود،زكي نجيب، **ثقافتنا في مواجهة العصر**، دار الشروق، القاهرة،(مصر) ، ط3 ، 1982م

8- محمود زكي نجيب، موقف من الميتافيزيقا، دارالشروق، القاهرة (مصر)،وبيروت ، (لبنان)،ط3، 1987م

9- محمود ، زكي نجيب، **تجديد الفكر العربي** دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1987،5

10- محمود ،زكي نجيب، **قيم من التراث** ،دار الشروق ، القاهرة،(مصر)،دط،2000.

ثانيا/المراجع:

أ/المراجع باللغة العربية:

1- ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تقديم حسن تميم ،دار مكتبة الحياه للطباعة والنشر ، بيروت،لبنان،ط2 ، دت.

2-أبو زيد،منى: **التفكير الديني عند زكي نجيب محمود**"،دار الهداية، القاهرة، مصر، ط1993،1

3-ريشنباخ هانز: نشأة الفلسفة العلمية ، تر فؤاد زكريا، دار الكتاب العربي ، القاهرة، مصر ،دط 1968.

4-زيدان ،عبدالكريم : أصول الدعوة ، دار العرفان ، القاهرة، مصر ، ط 3 ، 1408هـ .

5-سناء خضر، الفلسفة الخلقية والعلم نظرة نقدية، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر الأسكندرية، مصر ،ط1 ،2009

6-عبد الرحمن طه "**سؤال الأخلاق**"، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء، المغرب ، ط1،سنة2000.

7-عطية أحمد عبد الحليم"**الفكر الأخلاقي الجديد ودراسات أخرى**"، دار الثقافة العربية ، القاهرة، مصر ،دط،2007 .

8-الوئلي عامر عبد زيد و أخرون: **النظرية الأخلاقية من سؤال التأسيس إلى اختراق الممارسة السياسية** ، دار الروافد الثقافية، بيروت ،لبنان، ط1 ،.2015

9- ياجين المقداد،التربية اللأخلاقية في الإسلام،دار عالم الكتب،الرياض،السعوية،ط2 ، 1996 .

أ/المراجع باللغة الأجنبية:

1-JAMES ,W,Essy In Pragmatism ,Edite whth an introduction,by A castell, hatiner 1945

2-KARAFT,V.the Vienna-Philosophical Circle- Library,New york,.1953

ثالثا/المعاجم والموسوعات والقواميس:

1- ابن منظور، **لسان العرب**،ج4،دار صادر،بيروت،لبنان،ط1414،3هـ ،سنة1992.

2- أبادي الفيروز: **القاموس المحيط** ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،لبنان ،ط2005،8

رابعا/المجلات و الدوريات و الرسائل الجامعية:

1- محمود زكي نجيب، أسطورة الميتتافيزيقا، مجلة الكتاب، مجلد 11، ج3 ، أذار1952م.

2- محمود ،زكي نجيب ،أزمة القيم في عصر الإنطلاق، مجلة الفكر المعاصر ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة مصر،العدد7،سيبتمبر،سنة 1965.

3 – محمود ،زكي نجيب ،روح العصر في فلسفته، مجلة الفكر المعاصر ،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة مصر، العدد1،مارس،سنة 1965.